المادة الدراسية: الادب الاموي

المستوى الدراسي الثاني

عنوان المحاضرة : عدي بن الرقاع العاملي

أ.د. محمد عبيد صالح

مدخل:

عدي بن الرقاع شاعر اموي مجيد له ديوان حافل بشعر المديح – مديح الخلفاء خاصة– واذا كان الامويون قد شجعوا الشعراء على المديح بعد ما استقرت دعائم الدولة العربية الاسلامية فان كثير من الشعراء – ان لم يكن معظمهم – قد قالوا فيهم مديحا حتى اولئك الذي عرفت عنهم مواقف سياسية معينة الا اننا نستطيع ان نعدد عددا من الشعراء ممن انصرفوا الى المديح واستنفذوا القول فيه ويبرز في مقدمتهم شاعران هما الاخطل وعدي بن الرقاع العاملي ، اللذان يمثلان الشعراء الرسميين او الداعين الى تأييد السلطة لانصرافهما الى المديح في معظم قصائدهما ومحاولتهما الدفاع عن موقف الخلافة وتمجيد المآثر بما يرفع مكانة الخليفة في اعين الناس ويرد على مناوئيه.

لقد كان عدي بن الرقاع مقدما عند بني امية مداحا لهم خاصة الوليد بن عبد الملك، وقد قيل انه دافع عن الخلافة وابدى ايمانه بالوفاء للدولة العربية ووضع نفسه في خدمة اهدافها والوقوف بحزم تجاه كل الحركات التي حاولت ان تقف بوجهها وقد دفعه الوفاء الى اقتصار شعره على قادة الدولة

وخلفائها خاصة انه عاصر خلافة عبدالملك بن مروان وامتدحه وامتدح ابنه الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز.

والمتصفح لديوان عدي يجد فيه مطولات في المديح فقصائده في الوليد بن عبد الملك نجد فيها ما تجاوزت الخمسين بيتا، وله قصيدة في ميح عمر بن الوليد بن عبد الملك تقع في ستين بيتا.

واذا كان صوت المديح قد خفت في عصر صدر الاسلام فان ما اثر عن الشعراء الاسلاميين من شعر مديح لم يكن تسجيلا لبطولات اشخاص او مآثرهم قدر كونه تمجيدا للجماعة الاسلامية والدعوة الاسلامية ، ولذلك لم تطل قصيدة المديح في عصر صدر الاسلام وانما كانت جزءا من شعر الدعوة الذي فيه تمجيد لحامل الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومدح لأصحابه وحين استقرت الدولة الاموية شجع الخلفاء الامويين الشعراء على المديح فعاد هؤلاء الى التراث الشعري الجم الذي خلفته القصيدة العربية، وراحوا يستقون من مقاييسهم في ابداع القصيدة المطولة التي تبدا ببداية معروفة تشد انتباه السامع لينتقل بعدها الى غرض اخر ممهد له ايضا، الوقوف على الاطلال او مناشدة الصحب للبكاء على الاحبة ليخلص بعد هذا الى التسلي عن الهم برحلة توصله اخيرا الى الممدوح.

نسبه:

عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع من عاملة. كنيته أبو داوود، وهو من عاملة احدى قبائل قضاعة، وكان مقدما عند بني اميه.

ولادته وسيرته:

سنة ولادته غير معروفة، لكنه سكن دمشق وعاصر عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وقد امتدت خلافة هؤلاء حتى سنة ١٠١ هجرية، توفي على الأرجح في عام ٩٥ هجرية. وكان من حاضرة الشعراء لا من باديتهم كما يقول الأصفهاني في كتابه الأغاني.

كان أعرجا وعدّه الجاحظ من البرصان، كانت له بنت تقول الشعر يقال لها سلمى، وكان مقدّما عند بني أمية، مدّاحا لهم، أكثر قصائده في مدح الوليد بن عبد الملك وعمر بن الوليد. وصلنا من ديوانه ١٠٩٣ بيتا مجموعة في ٧٦ قصيدة.

ولقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام[٢].

شعره:

له أبيات غزلية من أرق الشعر العربي كقوله:

وَكَأَنَّها بَيْنَ النِّساءِ أَعارَها عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جاسِمِ

وَسْنانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فرنقت في جفنه سِنَةٌ وليس بِنائِمِ

ومن شعره السياسي ما قاله مادحا الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم :

لِمَن رَسمُ دارٍ كَالكِتابِ المُنَمنَمِ و بِمُنعَرَجِ الوادي فُوَيقَ المُهَزَّمِ

عَفَت بَعدَ أَشباحِ الأَنيسِ كَأَنَّما ال شُخوصُ بِها خيلانُ حُرضٍ وَعَجرَمِ

تَوَهَّمتُها مِن بَعدِ ما قَد خَلا لَها أَهِلَّةُ حَولٍ بَعدَ حَولٍ مُجَرَّمِ

مَنازِلُ أَترابٍ تَبَدَّلنَ بَعدَها بِلاداً فَبادَت غَيرَ نُؤيٍ مُهَدَّمِ

سَمِعنَ بِغَيثٍ رابِعٍ فَتَبِعنَهُ عَلى كُلِّ مَوّارِ المِلاطِ عَثَمثَمِ

طَوالُ القَرى تَحكي خُطاهُ إِذا مَشى تَجاوُبَ أَحناءَ الغَبيطِ المُقَوَّمِ

مَدَحتُ أَميرَ المُؤمِنينَ الَّذي اِصطَفى لَنا رُبُّنا فَضلاً عَلى كُلِّ مُسلِمِ

بَنـي الحَمـد فيـهِ فَـارِتَقى فـي مُشَـرَّفٍ رَفيـــعٍ مِـــنَ البُنيـــانِ لَـــم يَتَـــثَلَّمِ

فَمـا فـي بَنـى حَـوّاءَ فَـرعٌ يَفوقُـهُ بِفاضِـــلَةٍ دونَ النَبِـــيِّ المُكَـــرَّمِ

فَمـا كـانَ بـابُ الحَمـدِ حَتّـى لَقيتُـهُ بِـــأَخرَسَ مَكنـــونٍ وَلا بِمُصَـــتَّمِ

جَمَعـتَ اللَـواتي يَحمَـدُ اللَـهُ عَبـدَهُ عَلَـيهِنَّ فَليَهنَـأ لَـكَ الخَيـرُ وَاِسـلَمِ

فَـأَوَّلُهُنَّ البِـرُّ والبـرُّ غالِـبٌ وَمـا بِـكَ مِـن عَيـبِ السَـرائِرِ يُعلَـمِ

وَثانِيَـةٌ كانَـت مِـنَ اللَـهِ نِعمَـةً عَلـى المُسـلِمينَ إِنَّـهُ خَيـرُ مُـنعِمِ

ابتـدأ عـدي بـن الرقـاع فـي مقدمتـه الطلليـة محتـذيا حـذو القصـيدة الجاهليـة بصـورها واخيلتهـا إذ يتحـدث فيهـا عـن وقوفـه فـي الـديار التـي انمحـت اثارهـا الا بقايـا تـذكره بالكتـاب المنمـنم وهـذا تشـبيه سـبق أن أورده الشـعراء فـي العصـر الجـاهلي، وكـرره مـن بعـدهم الشـعراء التقليـديون وأن هـذه الـديار قـد درسـت أثارهـا بعـد رحيـل أهلهـا عنهـا فيأتينـا بتشـبيه آخـر هـو تشـبيه فـي هـذا الـى لونـه الاسود لأنه يريد بقايا الرماد والنار مثلا .

وأمـا سـبب وحشـة هـذه الاثـار فـلان اهلهـا ارتحلـوا عنهـا وتركوهـا قبـل أعـوام مـن ورود الشـاعر مـرة أخـرى عليهـا، ومـع ذلـك فهـو مـا يـزال يتـذكر منـازل الفتيـان اللاتي كن فيها.

أما سبب رحلة الفتيات فهو جزء من رحلة أهلن إنه تتبع مواطن الماء والكلأ ولكنه نسب الرحلة الى الفتيات فقال (سمعن) و (تبعن) ولينقلنا الى صورة رحيلهن على الابل ويسترسل بعدها في وصف الابل وظهورها الطويلة ويشبه وقع أقدامها أو ما يصدر عنها من صوت حين تبرك بصوت عيدان الرحل اذا حرك وحين تتجاوز النوق أسماء المواضع التي ذكرها الشاعر تصل الى الخليفة الممدوح.

والمعروف في القصائد التقليدية ان وصف رحلة الحبيبة تمكن الشاعر من الانتقال الى غرض الغزل إذ أنه يبدي حزنه على الفراق فيتذكر الحبيبة ويتغزل بها فتهيج عواطفه وتتأزم نفسيته وتضطرم لواعج الحب فيه فيبحث عن السلو والنسيان فيركب ناقته ضاربا في الصحراء لينتقل بعدها الى وصف الممدوح الذي يستحق أن يحط الرحلة عنده بعد سفر مضنٍ.

أما شاعرنا فانه تجاوز هذه الصورة، هذه الصورة التقليدية فيختلط علينا اول الامر من هو المرتحل ؟ أهم الاحبة الذين تركوا الديار أم الشاعر لان عدياً وصف سبب الرحلة اللاتي أقفرت ديارهن بانه بسبب سماعهن بوجود غيث مريع فتبعنه لكن رحلة النوق التي وصفها الشاعر تنتهي بالممدوح وبذا تكون رحلة الاحبة ورحلة الشاعر واحدة، السماع بوجود غيث مربع هو اشارة الى كرم الخليفة وان من يتبعه يجد عنده الخير والعطاء ... وبذا أتى عدي بصورة للرحلة رحلة الممدوح مخالفة لما جاء به الشعراء لأنها رحلة فريدة رحلة الاحبة ورحلته هو الى الممدوح المعطاء.

ثم في الابيات الاخرى يبدأ عدي بمدح الخليفة ولكنه فعل ما فعل عبيد الله بن قيس الرقيات حين وصف عبدالملك بالسيادة ورمز اليها بلبس التاج الا أن عديا لم يكتف بصورة التاج رمز الملك بل تبعها بكونه أمير المؤمنين

الـذي اختـاره الله وفضـله علـى كـل النـاس لخلقـه ومكارمـه ، ولكثـرة مـا يمتدحـه النـاس فيـه مـن خصـال المـدح فإنـه قـد بنـى لنفسـه مجـدا رفيعـا فمـا فـي بنـي حـواء مـن يفـوق فضـله ونسـبه الا بالرسـول الكـريم محمـد صـلى الله عليـه وسـلم وانـه قـد جمـع مكـارم الاخـلاق والصـفات المثلـى التـي ترضـي الله اولا (جمعـت اللـواتي يحمـد الله عبـده) وهـي صـورة تليـق بالخليفـة التقـي الـذي يجـب أن يرضي الله اولا ويرضى الناس عنه بسلوكه القويم وعدله.

ثـم يعـدد فضـائل الخليفـة وكأنـه يريـد ان يوثقهـا بالتعـداد والحسـاب مسـتخدما نـص العـدد أولا ثانيـا...إنَّ هـذا التعـداد لفضـائل الممـدوح بـدت اقـرب إلـى العـد التوثيقي منها الى رسم الصورة المادحة المتقننة.

ونسـتطيع القـول مـن خـلال هـذه القصـيدة وقصـائد عـدي الاخـرى أن عـديا كـان بحـق شـاعر الامـويين المـدافع عـن وجهـة نظـرهم المحـاول نشـر الـدعوة الـى نصـرتهم وتأييـدهم مـن خـلال مـا سـطره مـن مـآثر ومثـل تـرفعهم فـي اعـين النـاس، ومـن خـلال رده علـى منـاوئيهم او الخـارجين علـيهم، ويقـف عـدي ليمثـل الشعر السياسي الرسمي الذي أتخذ المديح اطارا له.